صديقي الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ أنور المعداوي

أشكر الظروف الطيبة التي هيأت لنا أسباب اللقاء ، وتلك اللحظات الممتعة التي جمعت بيني وبينك حول مائدة الأدب والفن تحدثني وأحدثك ، وتصغي إلى وأصغي إليك ، ونغترف معاً من شتى الطعوم والألوان ...

ولقيتني لقاء الصديق للصديق ، وكأننا كنا على ميعاد . وأشهد لقد أكبرت فيك كثيراً من نواحي الشخصية الإنسانية ، تلك التي كنت أجهلها قبل أن ألقاك . ولقد قلت لنفسي بعد أول لقاء : ليتني قد عرفتك من قبل ، لتستقيم لي النظرة إلى فنك على هدى الخصائص الأصيلة في شخصيتك ... ومع ذلك قد هيأ لي هذا اللقاء أن أبلغ منتصف الطريق إلى الغاية ، وأن أكشف الغطاء عن كثير !

وكان لقاء آخر طويت فيه الطريق كله حتى بلغت منتهاه ، والفضل في ذلك منسوب إليك ؛ لأنك حدثتني عن نفسك وعن فنك حديثاً طويلا لمست فيه حرارة الصدق المنزه عن الأغراض .

لقد هاجمتك في الأيام الأخيرة مرة هنا ومرات هناك ، وعلى الرغم من هذا كله فقد شاء أدبك أن تشد على يدي ، وأن تثني على قلمي ، وأن تلقاني لقاء الصديق ... ويشهد الله أنني ما هاجمتك إلا لأنني أقدرك كل التقدير ، وأحمل لك في نفسي رصيداً مذخوراً من الذكريات الغالية . أنت في عالم القصة معدن نفيس ، ومن حقي أن أزيل بيد الناقد ما علق بالمعدن النفيس من غبار الحياة ...

هذا ما كنت أقوله لكل من يلقاني معاتباً على موقفي منك ، وكنت أزيد على ذلك قولي : لقد عودني توفيق الحكيم أن ألقاه في القمم ، فإذا ما هبط مرة عن مستواه ، فمن حقي أن أثور عليه لأرده بهذه الثورة إلى مكانه الطبيعي !

قلت لك هذا فقدرت الدافع وشكرت القصد ، وملأت نفسي إعجاباً برحابة صدرك وسماحة طبعك ، وتقبلت النقد بروح مثالية هي روح الفنان .

وخضنا أيها الصديق الكريم في حديث طويل خرج منه الأدب والفن بنصيب كبير ، وخرجت منه « أخبار اليوم » بتلك الكلمة القيمة التي كتبتها على أثر لقائنا وبوحي من نقاشنا حول طبيعة الفن ورسالة الفنان ...

أما حديثنا ، فقد التقينا فيه حول الكثير ، وافترقنا حول القليل ، والفضل في ذلك أيضاً منسوب إليك ؛ لأنك حين رحت تقص علي كثيراً من المؤثرات النفسية والدوافع الوجدانية ، تلك التي يستجيب لها قلمك ويخضع لها فنك ، وضعت بين يدي كثيراً من الوثائق التي يحتاج إليها الناقد ، إذا ما أراد أن يقيم الميزان للعمل الفني مرتبطاً بشخصية صاحبه ، ومتصلا بأسباب النفس والحياة ... ومن هنا جاءت نظرة جديدة إلى فنك محل النظرة القديمة ، تلك التي لم يكن أمامها انتظار إليك غير طريق واحد ، كل معالمه سطور وكلمات !

ما قصدت من وراء هذا المقال إلى أن أسجل ما دار بيني وبينك من نقاش حول طبيعة الفن ورسالة الفنان ، وحول أمور أخرى تطرق إليها الحديث ، لأنها تتصل بنقاشنا من قريب أو من بعيد ، إن لذلك كله مناسبة أخرى أرجو أن أعرض فيها لكثير مما اتفقنا أو اختلفنا عليه ...

كل ما أقصد إليه هو أن أكشف لقراء الرسالة عن ناحية من نواحي شخصيتك الأدبية والإنسانية تركت أثرها البعيد في نفسي ؛ ومن حقك علي أن أشير إليها في كثير من التقدير والإعجاب ، وهي دعوتك المخلصة إلى توثيق عرى الصداقة في الأدب ، وإيمانك العميق بجدوى الصفاء بين الأدباء ...

وأذكر أنك كتبت في هذا الموضوع مرة في (الرسالة) ، وتعرضت في سبيل تلك الغاية الكريمة لهجوم بعض أصحاب الظنون ممن لم يؤمنوا بصدق دعوتك !

أما أنا ، فقد لمست حرارة إخلاصك ونبل مقصدك في موقفين لن أنساهما لك : أولهما موقفك من الصديق النبيل صاحب (الرسالة) حين قلت فيه كلمة حق لا أدري لم غصت بها حلوق فلم تنطق بها شفاه ! وثانيهما موقفك من الدكتور طه حسين ، حين لم يجد كلمة عزاء تسيه وحشة الطريق وتنكر الصديق ؛ لقد وقفت وحدك لتصافحه بروحك من وراء الآماد والأبعاد ...

إنك بكلمتيك هذين قد أقمت الدليل على أن الدنيا ما زالت